

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْحَقَائِقِ الْمُهَيِّمَةِ عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيُوَاجِهُ الْمَوْتَ، وَسَيَرْحَلُ عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (كُلُّ نَفْسٍ دَانِقَةٌ لِمَوْتٍ ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ).¹ فَالْمَوْتُ حَقِيقَةٌ لَا مَنَاصَ لِأَحَدٍ مِنْهُ. قَالَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).²

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الْهَدَفَ الْأَكْبَرَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَشَرَ وَأَوْجَدَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ، هُوَ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ. وَيُظْهِرُ هَذَا الْمَعْنَى جَلِيًّا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ).³ وَالْعَائِقُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَصْرِفُ الْإِنْسَانَ عَنْ هَذَا الْهَدَفِ، وَيُصَعِّبُ عَلَيْهِ هَذَا الْإِمْتِحَانَ، هُوَ إِسْتِيَابُهُ وَرَاءَ مُغْرِيَاتِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَإِعْطَاؤُهُ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ قِيمَةً أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَحِقُّ، وَنِسْيَانُهُ لِلْحَيَاةِ الْأَخْرَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ جِرْصَنَا وَطَمَحَنَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ لَنْ تُسْعِدَنَا سَعَادَةً حَقِيقِيَّةً أَبَدًا. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيَا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».⁴ فَمِنْ شَأْنِ الْإِلْحَاحِ عَلَى نِعَمِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَّةِ، أَنْ يَرْجُحَ الْإِنْسَانُ فِي حُزْنٍ وَغَمٍ. وَكَمَا أَفَادَ يُونُسُ أَمْرَهُ: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، كَانَ يَقْدِرُهَا عُمَّهُ." وَلَا أَحَدَ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَالَ كُلَّ مَا تَمَنَّاهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

كَيْ لَا نَمِيلَ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَّةِ، وَلَا نُنْسِيَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، عَلَيْنَا دَائِمًا أَنْ نَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ الَّذِي لَا مَفْرَءَ لِأَحَدٍ مِنْهُ. رُوِيَ أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ فَقَالَ ﷺ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، وَأَوْلِيكَ الْأَكْيَاسُ».⁵ إِنَّ ذِكْرَنَا لِلْمَوْتِ بِاسْتِمْرَارٍ، سَيُلْجِمُ طُمُوحَاتِنَا الْمُتَعَلِّقَةَ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ. وَسَيَكُونُ وَسِيلَةً تُخَلِّصُنَا مِنْ هُمُومِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةِ، وَتُدْفَعُنَا إِلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، كَيْ نَقُورَ بِالسَّعَادَةِ فِي الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الْمَوْتَ وَيَتَّبِعُونَ بِهِ، وَأَنْ يَزِدُّنَا الْإِسْتِقَامَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



⁴ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، (10)
⁵ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، (31)

¹ سورة العنكبوت: 57
² سورة الجمعة: 8
³ سورة الملك: 2